في أزمة كتاب التاريخ المدرسي: البعد التاريخي

منذر جابر

ملخص: يستتبع الحوار الثقافي في لبنان، تعبئة الهويات الطائفيّة، ويمتدّ دائماً ويروح يفتّش عن أسانيد لمذاهبة في الأصل وفي اللغة وفي الثقافة، وفي الأحداث الماضية، أي في جوانب ممتدّة من التاريخ.

وما تحاوله هذه الدراسة، هو أوّلاً، معرفة بداية تشكّل مادة التاريخ، مادة مستقلّة في المناهج العاملة على امتداد المناطق "اللبنانيّة"، وفي مختلف أنواعها من رسميّة عثمانيّة، أو مدارس أهليّة، إرساليّة أو محليّة. وارتباط هذه المناهج، من ناحية، بأهداف الإرساليّات الأجنبية العاملة، وبصراعها المحموم فيما بينها. ومن ناحية ثانية، ارتباطها بالتوازنات السياسيّة على المستوى المحلّي، أو العثماني الممتد. وتحاول هذه الدراسة ثانياً، رصد مكانة واتجاه مادّة "التاريخ"، في مناهج التعليم ما بعد ولادة لبنان الكبير العام 1920، وقراءة محاولات تغييرها أو تعديلها.

إشكالية المشاريع التربوية وتوحيد كتب التاريخ في لبنان:

مشاريع للتوحيد أم للتفرقة؟

حسان حلاق

ملخّص: تمثل المشاريع التربوية وتوحيد كتب التاريخ في لبنان إشكالية كبرى منذ عقود عديدة وما تزال حتى اليوم حائلاً دون توحيد اللبنانيين في الرؤى السياسية والثقافية والتاريخية والوطنية، مما يؤثر سلباً ليس على واقعهم، وإنما على مستقبلهم أيضاً.

إن الجانب التربوي والثقافي، بما فيه تعدد كتب التاريخ وتنوعها واختلاف وتباين مضامينها، هي من جملة الأسباب الرئيسية في انقسام اللبنانيين سواء في عهود الانتداب الفرنسي، أو في عهود الاستقلال، وسواء قبل الحرب اللبنانية 1975 أو بعدها. وبالرغم من أن اتفاق الطائف لحظ أهمية توحيد كتاب التاريخ في لبنان، غير أن جميـــع المحاولات من جميع وزراء التربيـــة بين أعوام 1990 – 2011 لم تستطع إصدار كتاب تاريخ موحد يرضي جميع الأطراف اللبنانية.

وعرض د. حسان حلاق في محاضرته تجاربه في لجان "توحيد كتاب التاريخ" وتعاون مع ثلاثة وزراء تربية من أجل تحقيق هذه الغاية هم السادة: بطرس حرب، عبد الرحيم مراد، حسن منيمنة، غير أن شيئاً عملياً لم ينتهِ بعد إلى تحقيق الغاية. ثم اقترح د. حلاق عدة اقتراحات لحل إشكالية التربية والتعليم وكتاب التاريخ منها:

1 – إعادة تأهيل الطالب اللبناني تأهيلاً وطنياً باعتباره قيمة وطنية وتنموية.
2 – تعديل البرامج والمناهج التربوية بعيداً عن الحزبية والطائفية والمذهبية.
3 – إعداد المدرس إعداداً علمياً ووطنياً وتربوياً.
4 – اختيار العناصر الوطنية لصياغة كتب التاريخ وتوحيدها.
5 – إعادة دمج أفراد الهيئة التعليمية في المدارس والجامعات عوضاً من الفرز القائم طائفياً ومذهبياً ومناطقياً وسياسياً وحزبياً مما يسيء إلى التربية والتعليم.
6 – مراقبة وسائل الإعلام التي تؤثر برامجها سلباً في انقسام اللبنانيين، لأن توحيد كتاب التاريخ بدون ضوابط إعلامية لن يؤدي إلى توحيد اللبنانيين.

كتاب التاريخ الموحد: الفرضيات والتبعات (مقاربة نظرية)

نخلة وهبة

ملخص: تعتبر الورقة أن مادة التأريخ هي الماضي وبالتالي فإن المعرفة التاريخية معرضة لأن تكون متلونة وقابلة للتشكيك انطلاقا من قانون العرض والطلب السياسي المحكوم بمعادلة موازين القوة على ساحة السلطة؛ الأمر الذي يحوّل التاريخ إلى سلعة يتحكم السوق (السياسي) بمواصفاتها. ولهذه السلعة نوعان من الزبائن: زبون تجارة الجملة، (وزارات التربية والثقافة والدفاع والداخلية...)؛ وزبون تجارة المفرق، (حزب أو جماعةً أو باحث أو فرد فضولي...). ترصد الورقة ثلاثة أنواع من التواريخ في الكتب الموحدة. اثنان يحملان وجهة النظر الرسمية والثالث يتجنب حمل أي موقف. وتحصر الورقة اهتمامها بالنوعين الأولين. تذكّر الورقة بالمضمون الحربائي للتاريخ وتنتقل إلى البحث عن الفرضيات التي ينبني عليها كتاب التاريخ الموحد، معتمدة على المنطق العبثي لكشف بعض تلك الفرضيات/المقولات/ الأحكام المسبقة، وذلك عبر طرح السؤال المزدوج: ما هي المقدمة النظرية التي لو غابت يتعطل مفعول الطرح أو القرار المعلن؟ ولو سلمنا بان المقدمة النظرية المفترضة ليست صحيحة فهل تتهاوى العمارة الفكرية للقرار التربوي–السياسي موضوع الفحص؟ وقد نجحت الورقة في العثور على تسع فرضيات مضمرة تؤسس لفكرة توحيد كتاب التاريخ. بعدها تحوّلت الورقة إلى استنباط المنطق الداخلي الناظم لمختلف أجزاء العمارة الفكرية المستخدمة في تأليف "كتاب التاريخ الموحد". وانتهت الورقة إلى استنتاج تسع تبعات محتملة قد يولّدها استخدام كتاب التاريخ الموحد في مجالات التربية والإعلام والاجتماع والسياسة والدفاع...

كتاب التاريخ الموحّد بين الممكن والمستحيل

أنور ضو

ملخص: إن حرية التعليم التي كفلها الدستور، أدت إلى تعددية تربوية لم تستطع أن تعزز تماسكنا الاجتماعي، إذ قد رافقت الطائفية مراحل بنياننا الوطني منذ نظام الملل العثماني وحتى اتفاق الطائف. من هنا كانت الحاجة ماسة الى توحيد الذاكرة التاريخية لدى المواطنين، من اجل تقديم عناصر الجمع وردم الهوّة الفاصلة بين اللبنانيين، فكان قرار النواب في الطائف: توحيد كتابي التاريخ والتربية الوطنية. بعد اجتماعات متواصلة وجهود كبيرة من مؤرخين وتربويين تم وضع أهداف ومناهج مادة التاريخ وصدرت بالمرسوم رقم 3175 في الجريدة الرسمية العدد 27 بتاريخ 22 حزيران 2000. ثم صدرت كتب الحلقة الأولى، إلا أنها لم توضع بين أيدي التلامذة لأسباب غير جوهرية. وبقي الموضوع متوقفاً حتى تسلم الوزير الدكتور حسن منيمنة فأعاد العمل من اجل صياغة منهج جديد, وقد أنجزت اللجنة المختصة منهج المرحلتين الابتدائية والمتوسطة بحلقاتهما الثلاث، ولكن المنهج لم يقر بعد في مجلس الوزراء. ان الأهداف المحددة لمادة التاريخ والصادرة بالمرسوم 2000/3175 تلائم برأيي جميع اللبنانيين على اختلاف انتماءاتهم، فقد سمت فوق الطائفية والمذهبية والذاتية اللبنانية المنغلقة، وراحت إلى رحاب الوطن والعروبة والانفتاح على الإنسانية جمعاء. وركزت على التنوع ضمن الوحدة بدل التعددية التي توحي بالانقسام. كما أنها ركزت على مقاربة الحقيقة العلمية ولهذا أرى ان كتاب التاريخ الموحّد ممكن وليس مستحيلاً. وتوحيد هذا الكتاب من شأنه أن يكون بداية مسار طويل يؤدي إلى تعزيز الانتماء الوطني وإلغاء الطائفية، كونه قام على مبادئ، أرى أنها مهمة، وسأعمد إلى تفصيلها في المحاضرة. إن إنتاج كتاب تاريخ موحدّ حتى ولو شابته بعض الهنات الهينات، يبقى أفضل بكثير مما هو قائم حالياً من موزاييك في الكتب الملونّة بألوان الطوائف والمذاهب والتي لا تخدم إلا مشاريع التجزئة والانقسام. أنني أرى إن بلداً تشكل من مجموعات صغيرة، بل من محميّات قبلية ودينية، والى الآن لم تكتمل صورة الوطن فيه، لا بدّ من السعي إلى خلق ذاكرة وطنية موحّدة لأبنائه، تستطيع أن تضعف شيئاً فشيئاً من ذاكرته القبلية والطائفية. ورغم إقراري بأن كتاب التاريخ لا يقوى وحده على تحقيق ذلك، إلا انه يبقى لهذا الكتاب الدور الكبير في ترسيخ أركان الوحدة الوطنية.

مناهج التاريخ الجديدة المقترحة

آمال وهيبه

ملخّص:

- الكفايات المنتظرة من تعليم مادّة التاريخ ومكوّنات هذه الكفايات.

- المهارات التي تعمل المناهج على تنميتها لدى المتعلّمين: المهارات البحثيّة والمهارت التقنيّة في استخدام الأدوات الخاصّة بالمادّة.
- المقاربات:
  - المقاربة الأكاديميّة المتّصِلة بالتاريخ الاجتماعي الاقتصادي وتاريخ الجمهور دون إهمال تاريخ النخب (المقاربة المنظوميّة).
  - المقاربة التربويّة : اعتماد التربية بالوضعيّات التي تتوافق مع الكفايات والتي تدفع التلميذ إلى البحث.
- **مفردات المنهج:**
  - أدوات قياس الزمن، والمقارنة عبر الزمن بين الظاهرات المرئيّة. في الحلقة الأولى.
  - الخط الزمنيّ المصوّر، أهم المحطات التاريخيّة، تاريخ المدن اللبنانية وتاريخ لبنان. في الحلقة الثانية سنة أولى وثانية.
  - التاريخ الحضاري وتاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والاجتماعي منذ العهد الفينيقي حتى اليوم. في نهاية الحلقة الثانية وفي الحلقة الثالثة.
  - مواضيع تاريخيّة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المرحلة الثانويّة. الانتقال من التاريخ الحدثي السياسي التقليدي إلى المواضيع التاريخية والعلاقات التزامنية.